التعددية الفكرية لمفهوم فلسفة الفن والجمال

■ د. نائلة المنير عبد السلام المحمودي *

● تاريخ استلام البحث2022/05/07م ● تاريخ قبول البحث 2022/06/22م

■ **الملخص :**

الفن رسالة إنسانية ووسيلة فنية تحمل في طياتها قيما جمالية تحقق الإيقاع الجمالي برؤى فلسفية تعتمد على رؤية الفكر والعقل الظاهر، والمحسوس الباطن لكل فنان وفيلسوف ومفكر ...الخ، لتبلور المفاهيم الفنية والجمالية في رسالة فلسفية تمثل الآراء والاتجاهات والمفاهيم الفكرية باطروحات متعددة ومتنوعة بتنوع الأفكار الفلسفية، وتأخذ فلسفة الفن والجمال مسؤولية القيام بمعرفة الاعتقاد المتعلق بأمور متعددة مثل طبيعة الفن وطبيعة الجمال وفلسفة الجمال وعلم الجمال والإدراك الحسي والحكم الجمالي، بالإضافة إلى ماهية الفن والجمال والعملية الإبداعية ..الخ، الأمر الذي يميز تلك الفلسفة عن غيرها من حيث تعدد المفاهيم الفكرية الفلسفية للفن والجمال من قبل الفلاسفة، فكيف يمكن إثبات وجهات النظر حول تعدد الآراء والمفاهيم الفكرية المتعلقة بتلك الفلسفة، من خلال الدراسة والبحث والتقصي والاطلاع فإنه لا يمكن تحديد مفهوم فكري محدد ولا يمكن التوقف عند مفهوم بعينه، فالتعددية الفكرية لا تقبل بالسماح لأي فكر أو رأي أو اعتقاد أو أي مفهوم أن يكون قضية مسلما بها من حيث طرح مفاهيم فلسفية ثابتة ومحددة في مجال فلسفة الفن والجمال، ليكون سؤال مشكلة البحث متمثلا في التالي: هل هناك آراء ومفاهيم فكرية متعددة ومتباينة دارت عليها فلسفات فنية وجمالية تنوعت وتعددت بتعدد وتنوع العوامل الفنية والجمالية الثقافية والاجتماعية والدينية وغيرها من العوامل؟ أم هناك رأي محدد وثابت اتفق عليه أغلب الفلاسفة؟ وينص الفرض على: تعدد الآراء الفلسفية جعل هناك استحالة وجود فكرة أو نظرة عامة أو تعريف محدد عام يحدد بواسطتهُ الآراء والمفاهيم الفكرية والفلسفية لفلسفة الفن والجمال متبعة الباحثة في ذلك المنهج الوصفي في سرد موضوع البحث معتمدة على المراجع العربية والمترجمة، ذات الصلة بالبحث.

● **الكلمات المفتاحية:** التعددية الفكرية – الآراء والمفاهيم الفلسفية – فلسفة الفن والجمال.

* أستاذ مشارك بقسم الفنون التشكيلية - مدرسة الإعلام والفنون - الأكاديمية الليبية Email: n.almamoudi@academy.edu.ly

■ **Abstract :**

Art is a humanitarian message and an artistic medium, carries with it aesthetic values that achieve the aesthetic rhythm with philosophical perspectives that depend on the intellectual vision, the apparent mental, and the subconscious of any artist, philosopher or thinker ...etc., to crystallize artistic and aesthetic concepts in a philosophical message that signifies intellectual opinions, trends and concepts in varied propositions with different philosophical ideas.

The philosophy of art and aesthetics is responsible for knowing the belief related to many things such as the nature of art, the nature of beauty and its philosophy, aesthetics, perception and aesthetic judgments, in addition to the essence of art, beauty and the creativity …etc., which sets this philosophy apart from others in terms of the variety of intellectual philosophical concepts of art and aesthetics by philosophers. While how can it be proven opinions about the plurality of opinions and intellectual concepts concerned to that philosophy, through study, research and investigation, it is not possible to define an explicit intellectual concept and or to stop at a particular concept, as the intellectual variety does not agree any thought, opinion or belief or any concept to be a given issue in terms of putting forward fixed and specific philosophical concepts in the philosophy of art and aesthetics, therefore, the question of the research problem is represented in the following:

Are there several and different intellectual thoughts and concepts on which artistic and aesthetic philosophies have varied, as varied as the aesthetic factors, cultural, social, religious and other factors? Or is there a specific opinion agreed upon by most of the philosophers?

The hypothesis states: The multiplicity of philosophical thoughts made it impossible to have an idea, an overview, or a specific general definition by which the intellectual and philosophical thoughts and concepts of the philosophy of art and aesthetics were determined, following the researcher in that descriptive approach in listing the research topic, relying on related Arabic and translated references.

Keywords: intellectual pluralism _Philosophical opinions and concepts _Philosophy of art and beauty.

■ **المقدمة:**

تحسس الإنسان الجمال منذ أقدم العصور، وتكون مفهومه للجمال عندما ساعدته الملاحظة على التميز، وأخذ ذوقه الفني والجمالي ينمو باستمرار بتذوقه لجمال ما رآه، وكان ذلك قبل أن يكون للجمال والفن علم مستقل يعرف به ويسهم في تذوقه، وقبل أن يكون للفن فلسفة تبحث في طبيعته وعناصره ورسالته، وللفن والجمال تاريخ ونظريات فلسفية، وثقافة جمالية تدل على المتطلبات الفكرية لذلك العلم حسب كل عصر وكل حضارة وإن لكل آثر فني وجمالي فلسفة فنية جديرة بالدراسة والتأمل والتحليل للآراء والمفاهيم الفكرية لتلك الفلسفة الفنية والجمالية. [1]

تشكل فلسفة الفن والجمال لغة معبرة عن مظاهر كل عصر وعن آراء فلاسفته وأحاسيسهم وما يرافقه من تبدل وتغير في المفاهيم والبُنى الفكرية والذوقية والثقافية، وما يرافقه ـ أيضا ـ من التأثر بالمعطيات الفلسفية الأخرى، وهي عبارة ـ فلسفة الفن والجمال ـ عن أفكار فاعلة ورؤى وتصورات ومضامين تسعى في التعبير عن مفاهيم فلسفية متعددة بتعدد تلك الآراء والمضامين الفكرية والذوقية[2] ولو استعرضنا مفهوم فلسفة الفن والجمال التي وضعها أصحابها [3] كمحور هام في الدراسات الجمالية لوجدنا أنفسنا أمام ما لا حصر له من المفاهيم الفكرية الفلسفية، فالتعددية في الآراء ساهمت بشكل مباشر في تقديم كم من تلك المفاهيم، وعند محاولة معرفة المفهوم الفلسفي للفن، فإن شأنه شأن مفهوم الجمال [4]، ولا يمكن أن يختزل الفن بلغة أو مفهوم كذلك الجمال، إلا إن فلسفة الفن والجمال يمكنها أن تولد التجربة الجمالية.

يضطلع الفن في الزمان والمكان بفلسفة الفن والجمال، ولا ينفك أن يرفض مسلمات الأمس الجمالية، فهذه الفلسفة منادية من قبل فلسفة التاريخ[5]، مثل فلسفة (سقراط) الذي تكلم فيها عن الأجمل في الخلق، وفلسفة (أفلاطون) الذي رسم بها خواطره عن المثالية والحب في الجمهورية، و(أرسطو) الذي تجلى للفكر فأثار ما سمي بالبوطيقا وعلم الجمال فآذن ذلك بأن اليونان القابسين في تاريخ فلسفة الجمال جمالية، وتعلموا ونظموا الفكر البشري ومنهجوا ذلك إلى مدارس ومذاهب فلسفية، ففي العهد الروماني لم يكن

هناك عناية كبيرة بالجماليات إلا ما ظهر به (أفلوطين) في الغيب والجمال، والعرب الذين انشغلوا بتراث البيزنطيين واليونان وبالشعر الجاهلي لمعت لهم بوادر جمالية ذات شأن فالجاحظ وضح الفكرة البارزة في الفكر الجمالي، والهمداني أدهش أقرانه من حيث التقسيم والتنوع في أشكال فن الجمال وأبهر أبو حيان التوحيدي أقرانه أيضا بفكرة الجمال، وغيرهم[6]، ويجب أن لا نغفل هنا عن المفكرين الجماليين المحدثين والمعاصرين خاصة بومجارتن وشوبنهور وبرغسون وسنتيانا وغيرهم[7]

■ **مشكلة البحث:**

هناك بعض الآراء ترى بأن فلسفة الفن والجمال لا تتجزأ إلى أفكار ومفاهيم فلسفية متعددة، إلا إنه هناك من يرى بتعدد وتميز الآراء والمفاهيم الفلسفية لكل فنان أو فيلسوف أو كاتب، ولكل أمة ولكل حضارة وعصر، وهناك معطيات فكرية فلسفية مبنية على عوامل ثقافية وحضارية وعوامل اجتماعية وأخرى دينية، فالتعددية في الآراء والمفاهيم الفلسفية لفلسفة الفن والجمال امتزجت بكل العوامل والمعايير الفنية والجمالية وأصبحت فلسفة ورؤية ينبثق منها آراء وقواعد ونظريات وطروحات فكرية متعددة ومتنوعة تأخذ كل منها صيغة جمالية وفنية تختلف وتتعدد باختلاف وتعدد الاتجاهات والآراء والمفاهيم الفكرية ذاتها، وتتضح التعددية الفلسفية للفن والجمال من خلال الثقافة المتنوعة التي تُغدي الآراء الفكرية لتؤرخ مفاهيم تلك الفلسفة، ولتصل بنا من خلال ذلك إلى طرح سؤال المشكلة كالتالي :

1 – هل هناك آراء ومفاهيم فكرية متعددة ومتباينة دارت عليها فلسفات فنية وجمالية تنوعت وتعددت بتعدد وتنوع الاتجاهات والعوامل الفنية والثقافية والاجتماعية والدينية وغيرها؟ أم هناك رأي ثابت ومحدد؟

2 – هل لفلسفة الفن والجمال اتجاهات وآراء فكرية مختلفة؟ أم هناك اتجاهات وأراء فكرية مقتصرة على نهج محدد منذ نشأتها؟ وبناء على سؤال المشكلة ينص الفرض على التالي:

3 – تعدد الاتجاهات والآراء الفلسفية جعل هناك استحالة وجود فكرة أو نظرة عامة أو تعريف أو مفهوم عام يحدد بواسطتهُ الآراء والمفاهيم الفكرية والفلسفية لفلسفة الفن والجمال.

4 – الأساليب المتعددة للفكر الفلسفي الجمالي تعبر عن مظاهر كل عصر من العصور وما يرافقهُ من تبدل في الأعراف والتقاليد الاجتماعية والنظم الفكرية والبنى الجمالية والفنية وتماشي الفلسفة الجمالية مع العلوم والمناهج والاستراتيجيات على مر العصور.

5 – إن تعدد آراء فلاسفة الفن والجمال ما هو إلا عبارة عن محاولات للوصول إلى جوهر الرأي والقول حسب المعايير والمعطيات الفكرية الفلسفية والجمالية.

■ **أهداف البحث:** يهدف البحث إلى:

1 – التعرف على التنوع الفلسفي للآراء والمعطيات الفكرية الفلسفية لبعض الفنانين والفلاسفة والنقاد في مفهوم الفن والجمال والفلسفة الجمالية الفنية.

2 – الكشف عن الخبرات الفلسفية للفلاسفة من خلال قراءة سيرهم وآرائهم واتجاهاتهم وطريقة تفكيرهم التي تمس جميع مناحي الحياة الفنية والجمالية.

3 – التعرف على تنوع الفكر الفلسفي من خلال طرح الفرضيات والأسئلة التحليلية للموضوع بالطرق السليمة في عملية سرد الآراء الفلسفية عبر التاريخ.

■ **أهمية البحث:**

1 – تحفيز القارئ على البحث في الحقائق الفكرية لفلسفة الفن والجمال ولتشجيعه على الاستنباط والتحليل وأبداء الرأي السليم ومن ثم التمييز بين الموضوعات الفلسفية.

2 – أن يكون هذا البحث؛ حافزاً لمزيد من التقصي والبحث في تعدد الآراء والمفاهيم الفكرية للفلسفة الفنية والجمالية.

3 – فتح آفاق جديدة أمام القارئ والباحث للمعرفة الفلسفية الفنية والجمالية من حيث تعدد مفاهيمها وأراء الفلاسفة المختلفة.

4 – توسيع دائرة المعرفة الفلسفية للاطلاع على التنوع الهائل في المفاهيم الفكرية وتعددها لدى فلاسفة الفن والجمال.

واتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لمفهوم كل من الفن والجمال وعلم الجمال وتنوع الآراء وتعددها لدى فلاسفة الفن والجمال مستندة في ذلك على المصادر والمراجع العربية والمترجمة وبعض المراجع الأجنبية.

● **أولاً فلسفة الفن:**

تطورت كلمة الفن عبر العصور وأخذت معان مختلفة، وقد اعتمدت هذه المعاني بدرجة كبيرة على الهدف أو الدور المنوط بالفن، أو الرؤية التي تكمن من خلال هذا المعنى أو ذاك [9]، وإذا كانت هناك صعوبة في تحديد مفهوم الفن، فإن ذلك يرجع إلى أننا أمام وجه من أوجه النشاط الإنساني، فليس بين النشاط الإنساني والفن نشاط أسرع في التطور وأمضى في الحركة، وأبعد عن الثبات والجمود من النشاط الفني [10]، ولعل ذلك يكون أحد السبل التي تجعلنا ندرك المعاني التي يتخذها الفن فاستخلاص سمات أو مفهوم الفن عبر التاريخ وبيان خصائصه وسماته يشكل قضية هامة على الصعيد الفلسفي، فقد أدرجت العديد من المدارس الفنية الفلسفية والجمالية على تناوله وفق آراء ومفاهيم ورؤى متعددة بتعدد الآراء الفلسفية لكل عالم وفيلسوف وفنان في هذا المجال، وبذلك فإن الفن يعد قضية فلسفية متشابكة الأطراف [11].

من خلال اللغة نجد أن الفن هو آمر عجب والرجل المفن هو الذي يأتي بالعجائب، [12] وجاء في لسان العرب أن الفن واحد الفنون، وهي أنواع، والفن: الحال والفن: الضرب من الشيء والجمع أفنان وفنون، ويقال وعينا فنون النبات، وأصبنا فنون الأموال، وقال الجوهري، فناً أي أمراً عجباً، والرجل المفن أي الذي يأتي بالعجائب، والفن بالمجمل العام هو جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة، جمالاً كانت أو خيراً أو منفعة، فإذا كانت هذه الغاية تحقيق الجمال سمي بالفن الجميل، وإذا كانت تحقيق الخير سمي بفن الأخلاق، وإذا كانت تحقيق المنفعة سمي بفن الصناعة، ومعنى ذلك أن الفن مقابل للعلم لأن العلم نظري والفن عملي [13]، وجاء في معجم لالاند بأنه هناك معنى عام للفن يشير إلى مجموع العمليات التي تستخدم عادة للوصول إلى نتيجة معينة [14]، أما العرب فقد فهموا الفن على أنه صنعة فكانوا يستعملون كلمة صناعة للإشارة إلى الفن عموماً.

في العصور الوسطى المسيحية بقيت كلمة (Ares_الفن) في اللغة اللاتينية تشير إلى الحرفة أو الصناعة أو النشاط الإنتاجي، وكانت الفنون الحرة تشتمل على فروع المعرفة السبعة وهي : النحو والمنطق والبلاغة والحساب والهندسة والموسيقى وعلم الفلك، أما في العصور الحديثة أصبح اصطلاح الفنون الحرة يشير إلى اللغات، والعلوم والفلسفة والتاريخ على اعتبار أنها جميعاً لا تدخل في دائرة التعليم الصناعي، وعلى هذا يكون (Art _ الفن) بالمعنى العام هو جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة، وهناك شبه اجماع على أن الفن هو العمل الذي يتميز بالصناعة والمهارة [15]

وإن التقاء الفن بتلك العلوم ليس جديدا، فجذوره تمتد إلى القرن الثامن عشر حين كان الفن إبان عصر النهضة يجسد هويته من خلال الطبيعة وفي منظور تعاليم ذلك العصر تغير الفهم الواقعي للفن، ولعل الفيلسوف الاغريقي (سقراط) هو أول من توصل إلى وحدة الفن وربطه بالعلم وعلى ذلك جاء بموضوع (أعرف نفسك)، فالإحساس وتذوق الفن حسب رأيه لا يمكن لمسه إلا بالعقل [16] والفن من وجه نظر عامة فإنه هو التطبيق العملي للنظريات العملية وهو جملة الوسائل والقواعد التي يتوصل بها الذكاء البشري إلى نتائج تطبيقية خاصة بحرفة أو صناعة لإثارة الأحاسيس ولاسيما الإحساس بالجمال [17]، والفن لغة تمكن من مخاطبة المتذوق أينما كان [18]، وهو عملية عقلية متسلسلة تتم عن طريق إدراك قوانين الجدل. [19]

■ **بعض الآراء والمفاهيم الفلسفية للفن:**

اهتم الفلاسفة بتحليل الخبرات الفلسفية للفن وكانوا يحرصون على فهم وتحليل الفن تحليلا يوازي الروحانية الفلسفية للفن في العصور السابقة من منظورهم الفلسفي الذي كان جدلا بينهم في إثبات الرؤية والآراء لكل فنان حسب المعتقدات الراسخة لديه، وقد راء (سقراط) أن أبجدية الفن تنحصر في تخليص النفس وتحصينها أخلاقيا وقد أطلق على ذلك بالتطهير النفسي، والذي يحيى عالم الفن من الأشكال الحسية الخالصة، وراء و(سبنسر) على أن الفن شكل سامي من أشكال اللعب. [20]، والفن عند (ارسطو) وسيلة وصنعة وليس غاية، وما يصنعه الإنسان يشير إلى أن يتقيد بالنقل الحرفي للواقع

ويحاكي الأشياء على النحو الذي يجب أن يكون عليه [21]، يرى (ارنست كاسيرر)، أن الفن رمز والرموز هي عبارة عن شبكة من الأشكال والصور التي تعبر عن مشاعر الإنسان وأهوائه وآماله، كما يرى بأن الفن مظهر من مظاهر الحضارة وأنه لغة من اللغات الرمزية وهو نشاط حضاري لا يقتصر على نسيج الواقع أو محاكاة الطبيعة، بل يقوم على تمثيل الواقع في صورة مركزة، ويرى (مولر فرينفلس) بأن الفن يطلق على شتى ضروب النشاط أو الإنتاج الذي ينبغي أحيانا أن تتولد منه آثار جمالية، وإن كان الأثر هو بالضرورة المعيار الوحيد، ومن هذا المنطلق يصبح الاستمتاع بالفن نموذجا من نماذج التجربة الجمالية[22]، ويرى (جان جاك رسو) في الفن بأنه فيض من العواطف والمشاعر، ويرى (كانط) أن الفن وليد العبقرية وإنه تقديم جميل لشيء ما، وهو لعب موجه لإنتاج موضوع ما، وهو متميز عن العلم من جهة وعن الصناعة من جهة أخرى، فهو كمهارة يختلف عن العلم اختلاف القدرة عن المعرفة واختلاف التكنيك عن النظرية، وقد عزل الفن عن الأخلاق، أما (يوهان شيلر) فقد رأى الفن بأنه نشاط حر وربط بين الفن واللعب على أساس الفن يرادف الحرية، ويقول : «إن الفن لا يبلغ الحقيقة إلا عندما ينقطع تماما عن الواقع ويصبح مثاليا تماما «، وكانت في رؤيته للفن تنطلق من أسس مثالية، ويقول (كروتشة) :» إذا سألتني ما الفن فإني في أبسط صورة إن الفن عيان أو حدس «، ويرى بأن الفن ينتج صورة أو خيالا وبأن الفن من حيث هو حدس فهو مستقل بذاته لا يهدف إلى شيء سواه وليس مطلوبا منه تحقيق هدف غير ذاته حتى لو كان هذا الهدف هو اللذة أو تقديم منفعة، كما يرى (هيجل) بأن الفن يؤثر على النفس والمشاعر والانفعالات، ويوقظ الإحساس، ويحرك للإنسان الشعور بالجمال، [23] والفن عند (رودان) يتمثل بالعاطفة لكن بدون الأحجام والنسب والألوان وبدون المصادر اليدوية، ويرى (تولستوي) بأن الفن نشاط إبداعي هدفه جذب الانتباه نحو الجمال بطريقة غير تقليدية تنتج عن ممارسة التذوق والشعور [24]، كما يرى بأنه هو ضرب من النشاط البشري الذي يتمثل في قيام الإنسان بتوصيل عواطفه للآخرين [25]، ويرى (كارل يونج) بأن الفن إبداع صادر عن اللاشعور وليس شعور الفرد بل شعور الجماعة، ولا يعتبره إبداعا قائما على الوعي والتدبر بل هو نوع من الدافع الفطري ويؤكد بأن الفن هو الجمال ولا يحتاج إلى معنى لأن المعنى عنده لا شأن له بالفن، [26].

أما (سوريو) فيؤكد على أن الفن يتجه عن قصد أو غير قصد إلى صناعة أشياء أو خلق موجودات فردية يكون وجودها في غاية تلك الفنون، ومعنى هذا أنه يشير إلى جملة من الحقائق الهامة أولها: أن الفن خلق موجودات وثانيها: أن الفن لا ينفصل عن العمل الفني، وإننا في مجال الفن لسنا أمام فنانين أو مبدعين، إنما أمام أعمال فنية [27]، واعتبر (فرويد) إن الفن محكوم بالحتمية لا الحرية، وهو مقيد باللاشعور لا الوعي، وهو عالم الحلم واللعب، وأضاف بأن الفن سيبزغ عندما نسمح لجهازنا العقلي أن يعمل في اتجاه اللذة [28]، ويرى (بومجارتن) بأنه هو التذوق الجمالي في حدود الحساسية الجمالية، والفن عند (سوريو) هو نشاط إبداعي من شأنه أن ينتج موضوعات ذات متعة جمالية [29] أما (هربرت ريد) يرى في الفن هو ما أحسن الفنان تشكيله، و(شوبنهاور) الفن عنده هو التأمل الخالص للفكرة في لحظة التحرر من الإرادة وينشد الواقع والحقيقة [30]، ويرى (آلان) أن الفن يقترب من الصنعة لأنه يرى فيها جهدا إبداعيا يستشعر فيه الفنان مقاومة المادة، فضلا عن أنه على وعي تام بما يتطلبه الفن من جهد شاق وطويل [31]، وعند (بيكون) هو عبارة عن عملية التحوير أو التعبير التي يدخلها الإنسان على مواد الطبيعة. [32]، والفن يكون سارا أو ممتعا عند (ديفيد هيوم) وأن المتعة التي نستقيها منه قضية متعلقة بإحساسنا وليس صفة جوهرية، ويرى (برجسون) أن الفن هو عبارة عن حدس، وهو نوع من المعرفة غير أن المعرفة لا تتعلق بالكليات أو القوانين العامة بل تتناول ما هو جزئي أو فردي [33]. وهكذا نجد أن الفن قد تأثر كثيرا بآراء الفلاسفة والمفكرين الذين تصدوا لتعريفه أو لتوضيح معناه، وذلك نتيجة لمحاولة كل فيلسوف أو مفكر أن يضع تصوراته الفنية في إطار مذهبه أو اتجاهه أو نسقه الفلسفي، وقد تباينت الآراء والأفكار إلى حد كبير من خلال ما تم طرحه[34].

- **ثانياً فلسفة الجمال:**

منذ اللحظة الأولى التي يتأتى فيها الإنسان إلى الحياة يبدأ إحساسه بالعالم، وهو إحساس فطري نحو الأشياء وتذوقها، وتقييمها وفق عوامل ومعطيات متعددة ومختلفة يكتسبها من خبرات ومعارف قد تؤثر فيه ويستطيع خلالها أن يفرق بين ما هو جميل وما

هو غير جميل، إلا إن كل المعاني التي ترتبط بمفهوم التفضيل الجمالي بين شخص وآخر قد ترتبط بنفسها على نحو مستقل لذاتها مع بعضها البعض، مثل إن هذا الشيء جميل لأنه مريح نافع، لطيف، رائع، وغيرها من الصفات التي تجتمع معاً لتصف شيئاً ما حتى نطلق عليه صفة الجمال [35]، والإنسان بطبعه يميل إلى أن يصف ما يرضيه وما ينال إعجابه، ومن هنا يكون من الصعب تحديد ما هو الجمال أو تقديم رأي محدد أو مفهوم واحد أو تعريف شامل لكل الآراء، [36].

إن الجمال قيمة من القيم الإنسانية كونه حاجة إنسانية منشودة لا يمكن التغاضي عنه سواء أكان في الطبيعة أو فيما يمثله من الفنون [37]، ويدرك الجمال بأسلوب خاص هو أسلوب الجمال ذاته أو هو موجود أساسا في ذاتية الأشياء، وقد أخذ مفهوم الجمال من الفلاسفة الكثير من التعريفات والمفاهيم المتعددة بتعدد الفلاسفة والعلماء والفنانين، فلكل منهم أسلوب ورأي محدد واتجاه يختلف عن الآخر وذلك لأن كل رأي يعتمد على القدرة والمستوى الفني والمعرفي والحس الفني والقدرة التذوقية التي يتميز بها كل واحد عن الآخر [38]، ويرجع الاختلاف إلى وجهات نظر الفلاسفة تبعا لاختلاف المناهج المعرفية والفنية ولاختلاف المشاعر والأحاسيس والأذواق وللآراء الميتافيزيقية والمينوفينولوجية الاستاطيقية، فهذا (سقراط) قد ميز بين الجمال المادي والجمال المعنوي حيث اعتبر بأن الجمال الروحي أسمى من الجمال المادي، والجمال عنده هو الجمال النافع [39]، والجميل هو المفيد ويقدر فائدته، وأوضح أنه يجب تمييز الجمال بصفته الجمالية عن الأشياء الأخرى، وعدت جمالية (أفلاطون) تصاعدية ومتسلسلة من درجة لأخرى حتى يتم الوصول للمفهوم السامي للجمال حيث يتحد فيه بالخير، فقد رأى أن في أصل كل جمال لابد من جمال أولي يجعل الأشياء حسنة، ويندرج الجمال عنده على ثلاث مراحل: **الشكلي أي جمال الأشكال وهو الجمال الحسي : الأخلاقي والعقلي، أي جمال الأفكار والمعرفة: المطلق أي الجمال الأبدي وهو المثالي.**

وقد تحدث في مجاوراته عن الجمال وربطه بالدياليكتية، أن المظهر السامي هو جمال الروح، وأن يتحد مع الخير، وفي كتابه الجمهورية نجد جماليته التصاعدية وذلك

بإعطائه للجمال المفهوم الكمي والكيفي، والسامي عنده مرتبط بفكرة الحق والخير والجمال، والحقيقي هو الحق والخير والجمال، أما العلاقة بين جماليات (أفلاطون) و(أرسطو) فهي علاقة بين فلسفتين متفقتين ومختلفتين في آن واحد، ففلسفة (أفلاطون) هي عقلانية متوجة بالمثالية بينما فلسفة (أرسطو) هي عقلانية محكومة بالواقعية، ويرى (أرسطو) أن التناسق والانسجام والوضوح من أهم خصائص الجمال، فهو موجود على نحو موضوعي في الأشياء والموجودات، وهناك جمال حقيقي في هذا العالم وهو مصدر والوعي الجمالي، وهذا (أفلوطين) يلخص أفكاره الجمالية في الخير الذي يقف في قمة الأشياء وهو أسمى جمال، وأن الأشياء الجميلة في الواقع عبارة عن آثار وصور وظلال للجمال العلوي، وأن كل جمال يمكن اكتشافه بالحدس، وأن جمال الأشياء الخارجية يرجع إلى جمال داخلي روحي ولهذا يجب البحث عنه في داخلنا .[40]، ويقيم (سانتيانا) الجمال على أساس مفهوم اللذة كقيمة إيجابية خالصة على منوال الروح اليونانية التي اعتبرت اللذة عنصرا هاما من عناصر الظاهرة الجمالية، وربط بين الخير والجمال بقوله:» إن المطلب الجمالي الذي يقضي بالخير الأخلاقي هو أجمل ثمرة من ثمار الطبيعة البشرية»، [41] بمعنى أن الجمال يؤدي في النهاية إلى فكرة الكمال أو التوفيق بين الطبيعة البشرية والعالم الخارجي، وحصر (سانتيانا) مقومات الجمال في ثلاثة عناصر هي:

1 – المادة: وتشير إلى اللذة الحسية التي تمدنا بها الحواس المختلفة، ويرى أن اللذة الناجمة عن البصر هي أقوى اللذات بدليل أن فكرة الجمال نشأت عن المعطيات البصرية، كما ارتبطت بالخبرة الجمالية عنده وبالإدراك الحسي، وجعل كلمة شكل أو صورة مرادفة لكلمة جمال.

2 – الصورة: يرى أن الجمال الشكلي يستند إلى الأجهزة الحسية، لذا فإن الأشكال الهندسية عنده تأخذ قيماً جمالية نتيجة الإحساس بالتوازن والتماثل والذي يمثل وحدة التنوع التي هي أساسا جوهريا لجمال الشكل.

3 – التعبير: يرى بأن عنصر التعبير على اعتباره مجموعة من التأثيرات الانفعالية التي تضفي على المضمون لأي عمل دلالة وجدانية خاصة، كما يعتبره عنصرا مستقلا

ينفذ إلى الشعور الجمالي من خلال عملية الاستثارة الوجدانية، لذا فإنه يكسب الصفة الجمالية لاقترانه بمضمون مادي وشكلي لأي موضوع جمالي، ويرى (جون راسكين) أن الجمال لا يكشف عنه بالفكر أو بالإحساس بل بواسطة ملكة الحدس، تلك الملكة التي تدفع بالفنان إلى الإحساس بالنشوة إزاء أي موضوع طبيعي له قيمة جمالية أكثر مما نحسه إذا كنا بصدد موضوع فني صنعته يد الإنسان، ويقترن الجمال عنده بالأخلاق[42]، وميز (كانط) بين نوعين من الجمال : **الجمال المقيد**: يفترض ما ينبغي أن يكون عليه الجميل، مثل جمال الأشياء الطبيعية، **الجمال الحر**: لا يفترض مسبقا ما ينبغي أن يكون عليه الجميل مثل الفنون، ويرى أن الجميل يثير قوتنا الحيوية ويقترن بالخيال، يوحي إلينا بالشعور وبالنظام المتسق ويستند في نظره إلى اتفاق المخيلة مع الذهن، أما (وينكلمان) رأى بأن الجمال المثالي غير موجود في الطبيعة، ولا مكان للبحث عنه في مكان آخر، وقد اتبع (فكتور كوزان) في دراسته الطريقة السيكولوجية وفهم الجمال كإشارة للجمال الباطن الذي هو الجمال الفكري والأخلاقي وأنه يوجد فوق الجمال الواقعي والباطني، وإن قانون الجمال هو التعبير الموجه إلى الروح مثل الشكل الموجه للحواس [43]، ولقد رأى (ديفيد هيوم) أن الجمال ليس صفة كامنة في موضوع ما، بل هو مجرد عاطفة أو إخضاع في النفس، وإن أنماط الجمال كحقيقة مشترطة هي علة اللذة ولذلك فإن هناك طريقة عامة لتمييزه بواسطة التذوق والإحساس [44].و عند (شوبنهور) هو ظاهرة من ظواهر الذهن تعتمد على الخصائص المميزة للفرد الذي يدركها، وهي لافتة في اكتمالها وتوافقها أو هارمونيتها، والجمال عنده محرر للعقل، فهو يسمو بنا إلى لحظة تعلو على قيود الرغبة وتتجاوز الإشباع الجمالي[45]، ويقول (شوقي ضيف) :" والجمال حقاً موجود في الطبيعة، ولكن ليس هذا ما يهم أصحاب الفلسفة الجمالية، فهو موجود فيها سواء حوله الفنان إلى أعماله أو لم يحوَلهُ، إنما يهتمون به حين ينتقل إلى عمل الفنان" [46]، ويرى (كانت) أن الجميل هو ما يتفق على جماله، وقد تأثرت بآرائه المدرسة الرومانسية والسريالية، ومن بعده (هيجل) والذي رأى بأن الجمال ما هو إلا فلسفة الفن ومضمون الفن وهو الأفكار الجمالية، ويرى (دوستويفسكي) بأن الجمال هو منقد البشرية، والفكرة الأساسية عند (تشيرنيشيفسكي) عن الجمال، هي نسبيته وهي نسبية للمتلقي وللمبدع وللأمر الجميل

ذاته، فما يرى شخص معين جميلاً قد لا يراه أخر جميلاً، فرؤية الشخص للجمال قد تتغير[47]، يقول (تولستوي) إن الفن هو إظهار الجمال، ويفسر كل مسائل الفن من خلاله، ويفرق بين الجيد والجميل، ويرى بأن موضوع المنطقية هو الحقيقة الجمالية.

إن موضوع المعرفة الجمالية أي –الشعورية – هو الجمال، وهو المعرفة – المطلقة – والحقيقة هي المعرفة الكاملة بواسطة العقل، وأما الخير فهو المعرفة الكاملة بواسطة الإرادة الأخلاقية، ويرى (تولستوي) أن النقاد الذين أتوا بعد (بومجارتن) ناقضوه مثل (ليسينغ) و(غوته)، ويقول (شيلر) :» أن هدف الفن يكمن في الجمال الذي ينحصر مصدره في المتعة الجمالية دون فوائد علمية»، ويعرض أفكار (هيغل) الذي رأى بأن الجمال هو تجسيد للأفكار، ويستنتج من ذلك رأيين أساسيين :

الأول: أن الجمال هو الإرادة لله،

و**الثاني**: يفيد بأن الجمال هو نوع من أنواع المتعة الجمالية التي يتحصل عليها المتذوق، ويرفض الآراء التي تنص على أن الجمال هو التجانس والاستجمام أو التماثل والتناسب... إلخ، ويرى بأنه ليس هناك تعريف موضوعي لفلسفة الجمال، أما التعريفات الميتافيزيقية منها والحسية فإنها تقود إلى الفكرة القائلة بأن الفن هو الشيء الذي يعكس الجمال، أما الجمال فهو الشيء الذي ينال الإعجاب، كما يرى (تولستوي) أنه من الناحية الذاتية، بأن الأشياء التي توفر لدى المتلقي متعة جمالية معروفة بأشياء جميلة، أما من الناحية الموضوعية فإنه يعني بالجميل: ذلك الشيء الكامل المطلق الموجود خارج ذواتنا ويتابع : إن مبدأ المتعة ليس كافياً لتحديد ما إذا كان العمل الفني جميلاً أو لا، لأن الهدف من الفن ليس الوصول إلى المتعة الجمالية فقط [48]، ويرى (هربرت ريد) بأن الجمال هو الشعور الذي تثيره الأشكال الفنية في النفس، فإذا كان الفن هو خلق الأشكال الممتعة فالجمال هو الشعور الذي تثيره فينا، والجمال عند (أفلاطون) هو مثال من المثل العليا (كالحق والخير)، وعند (بومجارتن) التوازن والتناسب هما عنصرا الجمال والكمال، وعند (شلنغ) هو توازن القوى الواقعية والمثالية واتحاد الطبيعة وهو المطلق، أما (كانط) فالجمال عنده هو ما يرضي الجميع وبدون سابق تصميم أو قاعدة يقام عليها، ويرى (بول فالري) بأن

الجمال هو أثر يبهر الإنسان ويمكنه من اكتشاف ما يجب أن يحبه وما يكرهه وما يجب أن يندهش منه، وما ينبغي أن يزيله ويهدمه حتى يتمكن من إيجاد آيات ذات قيمه فنية عظمى[49] .

لا توجد قاعدة معينة تحدد بواسطتها المعاني والصور والمفاهيم الفكرية لما هو جميل، ولا يمكن أن يوجد مبدأ يُعطي مقياساً عاماً لفلسفة لجمال، فالجمال يتميز بأنه متنوع في إدراكه للقيمة التي تعطي لمتذوقيه الإحساس الجمالي والفرحة الباطنة التي تنعكس عليه خارجياً [50]، وقد أجمع علماء الجمال على أنه هو العنصر النظري أو الفكري لأي عمل فني تشكيلي والمطلوب لرقي أي عمل فني ونجاحه وشهرته وأن يكون مبنياً على أفكار ومفاهيم جمالية وحضارية مواكبة للعصر والثقافة والحياة اليومية المعاصرة وأن يكون متنوعاً في طروحاته الفكرية، ومن خلال ذلك فإنه لا يمكن وضع تحديد وتعريف دقيق لهذا العلم بالصورة السهلة والمعتادة، ذلك لاختلاف وجهات نظر وآراء ومفاهيم الفلاسفة والمفكرين من ناحية وشمولية هذا العلم وعلاقته الواسعة والمتداخلة بعناصر أخرى مهمة مثل علم النفس، علم الإنسان، علم الاجتماع والقيم الفنية وغيرها، ومن ناحية أخرى فإنه عند وضع تعريف لماهية (الجمال) فإنه لابد أن يضع في الاعتبار اتجاهات أربعة قد حصرها المفكرين لتعريفه بشكل دقيق وذلك على النحو التالي :

1 - اتجاه يجعل من هذا العلم دراسة للجمال فقط، ويعد أكبر ممثل لهذا الاتجاه (أفلاطون) في العالم القديم، جورج (سانتيانا) في العصر الحديث.

2 - اتجاه يجعل هذا العلم دراسة للمفاهيم والمصطلحات الجمالية من حيث تحليل لمعاني الشكل والمضمون والنمط، والذوق ويمثله (فلدمان).

3 - علم الأحكام التقويمية التي تميز بين الجميل والقبيح وهو اتجاه يجعل الجمال دراسة للصور الفنية، ومثل هذا الاتجاه (أتيين سوريو).

4 - اتجاه يربط كل هذه الاتجاهات بالإنسان ويمثل هذا الاتجاه (هيجل) وحدده بأن هو فلسفة للتذوق الأكثر قدرة على الاستيعاب.

● **ثالثاً فلسفة الفن والجمال:**

إن ترسيخ ثقافة التعددية الفكرية لمفاهيم فلسفة الفن والجمال تكمن في التذوق للأعمال الفنية وترقيتها، وتنمية الإدراك وإخصاب الخيال وإثرائه، وتنمية الذكاء والقدرات على الابتكار والملاحظة لما هو جميل، والاستيعاب والتفكير، كذلك تجذير القيم والمعايير الجمالية والفنية [51]، ويتجلى المضمون تحت إدراك الموضوعات الحسية من خلال العالم الحسي وهو الجمال، فمن الجوهري للجمال أن يكون موضوعا حسيا، وأن يكون تصويرا ذهنيا لموضوع حسي كما هو الحال في الفن التشكيلي، ولابد أن يكون عينياً يتجه إلى الحواس والعقل والروح، لأن الوجود الحسي المحض بما هو كذلك ليس جميلا حين يدرك العقل تألق الفكرة من خلاله، لذلك فالفن والجمال، يختلفان في الشكل، ولكن موضوعهم واحد وهو الارتقاء من الفكر المحدد إلى الحرية وإلى الحقيقة المطلقة، وإلى وعي وحدة المنتهى واللامنتهى، فالفن هو أول تحقيق واقعي لوحدة الذات والموضوع، والجمال هو التجلي الحسي للفكرة والذات تتموضع في العمل الفني بحيث يكون العنصر الروحي قد نفذ في العنصر الحسي، ويكون العنصر الحسي غير موجود لذاته وغير ذي معنى إلا في وبالروح ويكون إشارة للروح، [52] .

كان اليونان من الأوائل الذين اعتنوا بالفنون وتوصلوا إلى آراء ونظريات جمالية ساهمت في تطوير الفن والجمال وأثرت بشكل كبير على آثارهم الفنية، تميزت أعمالهم بالتوازن والنضج، ولقد فرض اليونان النظام المتناسق وخلق الانسجام، والتوزع وإدخال التشكيل المتسق ،وتطلعوا إلى تعريف الفن والجمال بعبارات يسودها الكم والكيف، والإنسان مقياس لكل شيء لذلك اعتاد اليونان على تحديد النسب والمقاييس والتكوينات والإيقاعات بطريقة سليمة، جعلت أفكار اليونان الفلسفية حقيقة الفنون وأولويات الجمال وفاعليات التأثير الفني من أول الموضوعات التي تناولتها، ويعد (هيراقليط) من الأوائل الذين تكلموا عن فلسفة الفن والجمال ،وكذلك لكل من (ديموقراط وسقراط وأفلاطون وأرسطو) الفضل الكبير في هذا المجال .

أخضع (سقراط) الجمال لمبدأ الغائية النفعية ،فقد رأى أن الشيء حتى يوصف بالجمال ينبغي أن يكون نافعاً، والجمال من وجهة نظره يجب أن يحقق هدفاً وغاية

سامية وهي الكشف عن الخير والقيم العليا، وكذلك يؤكد على دور الفن في بناء مجتمع فاضل، ويرى بأن الفن يعبر عن الطبيعة دون أن يكون مجرد تقليد حرفي لها، في حين خالفه (أفلاطون)، إذ إن الفن في نظره هو الشيء المدرك في المراحل المتقدمة، ليعبر عن شيء سام مثالي خارج التصورات البشرية، ،كما رأى أن ما ندركه بحسنا يعكس عالم الصور الخالصة وهو عالم الحق والخير والجمال الذي يتجاوز المدركات المحسوسة إلى مجال المعقول، والفن الجميل عنده هو المجرد من نظم الحس، ويرفض أفلاطون الصورة الحسية ونظمها، فصور المحسوسات زائفة، وترتفع مرتبة الجمال عند أفلاطون حتى يقول إن الحب الحقيقي هو حب الجمال، وقد ربط الإلهام بحالة من الغيبة عن الحس ،حيث يلج الملهم عالماً ليس له علاقة بعالمه الحسي، ويرى أن الفنان الأصيل يختلف عن البشر الاعتياديين، وأنه لا علاقة للخبرة بالمعرفة والعملية الإبداعية، فهي عملية إلهامية [53]، وقام أفلاطون بتأمل الجمال الموزع على الموجودات الحسية مما يؤكد الجماليات في فلسفته، وهي فكرته في المحاكاة، وأتت الفكرة من اعتقاده بوجود عالم المُثل الذي دفعه إلى تأكيد قيام الفن على فكرة المحاكاة، فذهب إلى أن الجمال مثال من المثل العليا الحق والخير [54].و يرى (أرسطو) بالفن يحاكي الطبيعة، إذا كان الفن محاكاة فإنه أعظم من الحقيقة، لأنه يتمم ما تعجز الطبيعة عن إتمامه، الفن عنده هو نتائج للعواطف الإنسانية، والعمليات الإبداعية عملية إنسانية مرنة يكون أدائها وقائدها الفنان نفسه، لأن الفنان واع ومفكر يكشف عن مكامن الجمال في عالم الحس، والفنان هو الإنسان الذي يعي جوهر الأشياء وجوهر البناء التطوري البيئي ابتداء من الماديات إلى الملهمات ولهذا تكون فلسفة الفن والجمال تطويرية للشيء، والمحاكاة الطبيعة عنده تطوير وبناء جديد[55]. وفرق (افلوطين) بين فلسفة الجمال الطبيعي والجمال الفني، ويرى بأن الفن ليس مجرد تقليد للعالم المرئي ولكنه يصعد بنا إلى المبادئ التي قامت عليها الطبيعة [56].

للمسلمين نظرة خاصة ومتميزة في مجال فلسفة الفن والجمال ،فقد انفردوا عن غيرهم في أن يقظتهم اقترنت برسالة دينية وبنهضتهم ووحدة شخصيتهم، وامتزج الفن والجمال بتاريخهم ودمج فيه اللفظ والشعور والفكر والتأمل بالعمل والقيم والمثل فصار

نتاجها جزءاً لا يتجزأ من تراث النمو العقلي والفني، وكان للتقارب العربي الإغريقي أثر كبير في البناء الفلسفي الذي أنتجه العرب المسلمون فانتقلت الفلسفة اليونانية إلى الفلاسفة العرب والمسلمون وتبلورت وامتزجت بأفكارهم فأثرت بهم تأثيراً كبيراً إلا إنهم صاغوا فلسفتهم بعقلية عربية إسلامية فكان ما يميز فلسفتهم أنها فلسفة توفيقية بين الدين والفلسفة، ابتعدوا عن تصوير الأحياء وذلك مرده إلى طبيعة حياتهم التي تدفعهم إلى التأمل الدائم والتفكير بمظاهر الكون وأسراره، فحاولوا الابتعاد عن تصوير الإنسان وكان ذلك بمثابة رفض للفن الإغريقي الذي مجد الإنسان وعظمه ووصل به إلى أعلى المراتب، وتميز المسلمون عن غيرهم بأن جعلوا الدين ثم العقل هما المعيار الأصلي في الفن حيث كانت قيمتهم منطقة من القيمة الأخلاقية الجمالية [57]، وأكد (الفارابي) في فلسفته على أهمية الحس والمحسوس وعد الفن صفة حسية أساسها التجريب الذي يتصف بالرومانسية الرافضة للماديات المبتذلة مصفياً للأرواح ناقلاً إياها إلى مستوى العقل الفعال بفعل المعرفة الإشراقية المتجلية بطريقة الفيض من العقل الفعال، والعملية الإبداعية عملية إنسانية بفعل بناء الفنان الشخصي وإمكانياته الفكرية وهي إنتاج خلاق يمكن أن يضفي على الجماليات جمالاً أكبر وأنقى بفعل فيض العقل الفعال بالمعرفة الإشراقية والفنان هو ذلك الإنسان الذي ارتبط بالمحسوسات رافضاً للجزئيات المادية مدركاً للكليات بمستوى إدراكه المحقق للمعرفة الإشراقية، واتسمت فلسفة (ابن سينا) بأنها فلسفة عقلية، ويؤمن بالعقل الفعال مصدراً للعلم والمعرفة ومصدراً للإلهام الروحي، وتتسم أيضا بأنها توفيقية في تعابيرها وغاياتها وأهدافها، ولقد رأى أن الجمال لا ينبعث إلا من الحق (الحق اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى)، والجمال عنده يشكل مفهوماً متعدد الأطراف، ويدخل العقل في جمال فكري خالص فلا يوجد جمال أكثر سمو من الجمال العقلي الخيّر الخالص، والجمال الحقيقي عنده هو السعي وراء التأمل في سمو الخصال والسمات الروحية الخيّرة من خلال التفكير والحدس، وتتضح فلسفة الفن والجمال عند (الغزالي) يدرك عن طريق الحواس، والأخلاق، والخير يدرك بحالة القلب، أي أن جميل الأخلاق محمود الصفات .

وقد ميز بين ثلاث طوائف من الظواهر الجمالية هي :

1 – طائفة مادية: تدرك بالحواس وتتعلق بانسجام وتناسق صورها الخارجية.

2 – طائفة معنوية: لا تدرك بالحواس لأن جمالها معنوي وهي ظاهرة من ظواهر الجمال المعنوي والتي تتصل بالصفات الباطنية للشيء .

3 – طائفة عقلية: تدرك جماليتها بالعقل، وتعتبر تذوق الجمال يكون بالحواس، ويمكن تذوق الجمال بحاسة القلب إذا ارتبط بالقيم الأخلاقية والفضائل والوجدانيات، وكذلك يمكن إدراكه بالعقل إذا ولدت المدركات إحساساً عقلياً يدفعنا إلى استعمال القياس والتقويم [58].

في بداية العصر الحديث ابتعد الحس الفني والجمالي عن مفهوم النفعية وعن المثالية وتأثر كثيراً بالتطورات العلمية والبحوث التي تدرس علاقة الجمال بالمجالات الأخرى، وارتبط بمؤثرات المجتمع وتحولاته وصراعاته، وصار الاعتقاد السائد أنه ليس من الضرورة أن يرتبط الفن بالجمال، بل من الممكن أن يعرض الفن قبحاً، فتغيرت معايير الفن حتى أصبح أهم معيار هو الإبداع والتجديد في الفكرة أو القدرة أو التقنية، ومع أن فئة من المفكرين تعتقد أن طبيعة الجمال تتنافى مع طبيعة العلم، إلا إن الجمال غدا كسائر العلوم، له أصول وقواعد وأساليب ومعايير تطبق على الفن ومجالاته، وهناك كثير ممن تكلموا عن الجمال والفن ومنهم: (شيلر وديكارت وبومغارتن وشوبنهور وجون ديوي وكانت) وغيرهم[59] ،ويقول (شيلر) في ذلك: «إنه من خلال الجمال وبواسطتهُ يستعاد الحس والمادة إلى الصورة والفكر» [60]. يقول (جون ديوي):» إن الفن صفة أو كيفية تشبع في أية خبرة ؛ فهو لا يعد_ على سبيل المجاز_ بمثابة الخبرة ذاتها، والخبرة الجمالية تصبح ذات صبغة جمالية حينما تندرج في حركة إيقاعية منظمة تتجه نحو التحقق والاكتمال « [61]، ويقول (أ، نوكس) :» بأن علم الجمال يختص بالجمال الفني، والجمال الفني جمال مبدع مولود جديد للعقل، فجمال الفن هو تألق الروح «[62]، وقد اشتهر موقف (ديكارت) الجمالي بالطابع النسبي الذاتي الذي يفسح مجالاً لتدخل الإحساسات الفردية في التقدير للجمال، فلقد ربط (ديكارت) العقل مع الإحساس في الجمال، فالصورة الفنية مثلاً تعتمد على إدراك القيم وكذلك تخضع للقواعد العقلية المضبوطة، ومن ثم يتعين التقيد بمعيار مطلق لقياس ظاهرة الجمال والأخذ بمبدأ النسبية في تقديرنا، وكان الجميل عنده يرجع إلى عالمين في وقت واحد عالم الحواس وعالم الذهن، وقد أكد على أن الشعور بالجمال يرجع إلى المجال الأوسط الذي يشارك فيه العالمان الحسي والعقلي معاً .[63]

كان (بومغارتن) أول من كرس مبحثاً خاصاً يدرس الظاهرة الجمالية، وأيضاً أول من استخدم لفظ (استطيقا) وأهم ما قدمه التمييز بين المعرفة العليا والإحساس الجمالي السامي، وهو عملية عقلية تحليلية مدركة تعمل إلى كشف الحقائق الخالصة في المواد والأشكال، وهذه صفة القلة من البشر الذين يحققون الجمال الحقيقي الجليل في ذاتهم ومن ثم يناضلون من أجل نقله إلى ذوات الآخرين، ويعد الإبداع عند (كانت) هو إبداع عقلي أساسه كشف الجمال الحقيقي بواسطة المعرفة الخالصة للإنسان ولدى الفنان، والفن عنده يحمل صفة التوافق بين الذات الإنسانية والطبيعة، وهذا التوافق يحقق الحس الجمالي ثم الإبداع الجمالي، والعملية الإبداعية هي عملية تحليل عقلي استطيقي جمالي ترجع في أساسها إلى الذات المبدعة وليس في المادة الجمالية، أما التذوق الجمالي عند (كانت) أساسه إحساس وإدراك مرتبط بملكة الذهن والعقل، والفن هو فن بذاته لذاته وغايته كامنة، وهو نتاج عن حرية الإنسان عن أي عمل صناعي مدبر لا تصفه القوانين العقلية ولا يحدد بأسس ولا بوزن، فهو جميل بتلقائية وبدون أي قياس، وهو إنتاج لعبقرية موهوبة بدون حدود أو قواعد [64]، وعند (كروتشيه): إن الفن والجمال رؤية أو حدس، وهما توأم النشاط الفني الخلاق الذي يقوم فيه الفنان بعمل فني، في الوقت نفسه يرى أن كلمات الحدس، الرؤيا، التأمل،...الخ، جميعهاً مرادفات تتردد باستمرار عند الحديث عن فلسفة الفن والجمال فتؤدي إلى تعدد المفاهيم الفلسفية [65]، ويقر في كثير من مناسبة بأن الفن والجمال هما حقيقة روحية تنفعل بهما النفوس، بمعنى تأمل ومعرفة حدسية تُعبر عن صورة فلسفية جمالية [66]. وكان اتجاه (هيغل) ينتقل من رؤيته المثالية، فالجميل يتمثل في محتوى الفن ومحتوى الفن هو الفكرة التي صيغتها هي التجسيد المحسوس في الصورة، ولذا فإن محتوى فلسفة الفن هو التعلم حول المثل الأعلى وتطوره[67]، كما يرى بأن الجمال في الفن يرجع إلى اتحاد الفكرة بمظهرها الحسي والنظر إلى الفكرة ذاتها يكون الحق، والنظر إلى مظهرها الحسي يكون الجمال، أما الفن فيرتفع بالكائنات الطبيعية الحسية إلى المستوى المثالي ويكسبها جانباً جمالياً حسياً، ففلسفة الفن ترد الواقعي إلى المثالية [68]، وتقوم فلسفته على افتراض الروح المطلق، وهو المحور الأساسي الذي ينطلق منه في تحليلاته الفلسفية الجمالية، ويستخدم الروح المطلق في الفلسفة المثالية ليدل على الموضوع الأبدي اللامتناهي وغير المشروط والكامل، فالمطلق هو الكامل ذاته الذي لا يتغير ولا يتأثر بل يغير ويؤثر ويحوي كل شيء في الوجود في ذاته، وهو مصدر كل شيء والمطلق في فلسفة (هيغل): هو روح أساسها الفكر ـ الروح المطلق ـ، فيعتقد أن كل ما في الوجود من ظواهر طبيعية أو مادية أو إنسانية أو فكرية هي في النهاية

مظهر من مظاهر الروح المطلق، والجمال عنده هو الجمال الصادر عن تجلي الفكرة بطريقة حسية وهو في النتيجة الحتمية جمال معبر عن الروح المطلق، وبهذا أكد على أن الجمال الفني أرقى من الجمال الطبيعي، لأنه من إبداع الروح المطلق وهو جمال فكري، أي موجود بفعل إدراك الجمال لهذا الإحساس بالجمال، ويختلف من إنسان لآخر بسبب اختلاف مستوى الوعي، فالجمال الحسي من الجمال الطبيعي لأنه دخل فيه العقل، والفن بالنسبة له هو عملية عقلية متسلسلة في درجاتها ومستوياتها تتم بواسطة إدراك قوانين الجدل، وأعلى مرحلة يصل إليها الفن هي الإبداع، والعملية الإبداعية هي أعلى مرحلة يصل بها عقل المبدع في انتقاله التدرجي من الإدراك الحسي المبسط إلى الإدراك العقلي المتعالي إلى أعلى الدرجات من مستوى الوعي والفكر، وهي الدرجات التي تحقق تصوراً استطقياً جدليا، وغاية الإبداع عند هيغل تأخذ اتجاهين : الأول هو كشف الحقائق، والثاني هو تحقيق حقائق جدلية جديدة وهنا يكمن الإبداع، والمحاكاة بنظره لا يمكنها أن تكشف عن الحقائق الكامنة في دواخل الأشياء والأشكال والمفاهيم والمعاني، فالمحاكاة لا تتيح آثاراً فنية ذات قيمة، بل تنتج مهارة صناعية إنتاجية فقط، بعكس الفن الذي يعبر عن أهم تناقضات العصر الفلسفية والأخلاقية، ويؤكد (هيغل) أن العمل الفني الناجح هو الذي يكشف كل شيء بواسطة رعي الجدل وأسسه[69]، والجمال الفني _ أيضا _ أسمى من الجمال الطبيعي، لأن الروح هنا تلامس الحساسية، وفي العمل الفني يعبر الحسن عن ذاته ويدل على إدراك المدلول والتصور، والمدلول لا يحدث إلا إذا تحقق في صورة محسوسة دون أن تكون قد سبقت وجودها، والحساسية ليست حدود النشاط الفني، إذ إن هذه الأشكال المحسوسة ناتجة عن الفن لا لذاتها، بل لإشباع رغبات جمالية وفوائد روحية حسية[70]، ويرى بأن الجمال الفني يسمو بذاته، وأن الفن نتاج للروح، ويستمد الجمال الفني قوته عند (هيغل) من صدوره المباشر عن الروح، وبالتالي عن الحقيقة، وأن الجمال الفني الذي تنتجه الروح يتعذر إنكار سموه وتفوقه، ويقول:» إن موضوعنا ينصب على الجمال، غير أن الجمال ليس الموجود بصفة عامة في الطبيعة والفن»، ويرى _ أيضا_ بأن أعظم فضل للفن في هذا الحال هو الاقتراب من الجمال، وأن الجمال الفني أسمى من الجمال الطبيعي، والسبب الذي يجعله كذلك هو أنه من نتاج الروح، ونتاج الروح أو العقل أسمى مما هو موجود في الطبيعة [71] وأن الجمال الفني يستمد قوته من صدوره المباشر عن الروح، ويقول:" إن الجمال الفني أسمى من الجمال الطبيعي لأنه نتاج الروح"[72].

إن علاقة الفكر الفلسفي بمفهوم بالجمال والفن علاقة متلازمة ووطيدة، علاقة

تثري الخيال وتعمل على إخصابه وإغنائه وتقوية الملكات الفكرية، سواء أكانت حسية أو حدسية، والارتقاء بها إلى عالم التجديد في مختلف ميادين الفنون التشكيلية، وكما يقول (ايمانويل كانت):»ملكة التركيب ووسيط بين الحس والعقل والحساسية والفهم، وهي طاقة دينامية منظورة على الابتكار والإبداع». [73]

وهذا (سانتيانا) له فلسفة عامة تجعل من مفهوم فلسفة الفن والجمال مجموع العمليات الشعورية الفعالة التي يؤثر الفنان عن طريقهما على البيئة الطبيعية لكي يشكلها برؤية جمالية، لذلك فالفن هو كل فعل تلقائي يعززه النجاح لكي يمتد للعالم، فهو فن حيوي فعال ويلعب دوراً هاماً في فلسفة الجمال، ولهذا فمفهوم الفن هو مفهوم الجمال كلاهما متمم للآخر[74]. وهذا (ألويس مولر) تتجلى فلسفته في الفن والجمال، وإن الفن يطلق على ضروب النشاط والإنتاج الذي يجوز أحياناً أن تتولد منه آثاراً جمالية، على الرغم من أن للفن قدرة على توليد الجمال [75]، ويذهب (بوزانكيت) إلى أن فلسفة الفن والجمال جزء من الفلسفة وفرع من فروعها، وأن تاريخ فلسفة الفن الجميل ما هو إلا تاريخ الشعور الجمالي، أما (كاترين باتريك) فكانت فلسفتها تتم عن الفكر المبدع، ويذهب (كاسيرو) إلى أن التشكيل الفني يرتبط بوظائف التشكيل والبناء والتركيب الجمالي في العمل الفني [76]،

من خلال ذلك الطرح نصل إلى إدراج نتائج البحث التي توصلت إليها الباحثة وهي كالآتي:

■ **النتائج:**

1 - هناك تعددية فكرية للمفاهيم وللآراء الفلسفية للفن والجمال بصورها المختلفة ومنها الاجتماعية والدينية والسياسية.

2 - الفكر الفلسفي أشبع المجالات الجمالية والفنية بآراء فلسفية متباينة ومتعددة تختلف باختلاف الرؤى الفلسفية والقيم الفنية والجمالية والقيم الإنسانية والقيم الوجدانية والعقلانية والقيم الحضارية.

3 - السلوك الفلسفي لفلسفة الفن والجمال عند الفلاسفة والمفكرين يقوم على ترجمة وتعريف الفن والجمال بناءً على الأحاسيس الداخلية والأفكار الذاتية والنزعات السلوكية الأخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية والحضارية والانتماء لتيار فلسفي فني بعينه أو لاتجاه فكري محدد بسلوك فلسفي مبني على التوجه الفني والجمالي والفلسفي.

4 – إن فلسفة الفن والجمال لا تستقر على مفهوم أو رأي فلسفي محدد منذ بداية نشوئها.

5 – تختلف المفاهيم الفكرية لمفهوم فلسفة الفن والجمال باختلاف متطلبات كل عصر وكل حضارة وكل توجه وكل تخصص.

■ **التوصيات:**

1 – العمل على البحث والتقصي في مجال فلسفة الفن والجمال لنشر ثقافة تذوق هذه الفلسفة لما لها من أفق واسع يُغني ويُثري العملية التذوقية لدى المتلقي.

2 – عدم الخلط في الكتابات البحثية بين مصطلح الاستاطيقي والفني والجمالي مما يسبب اندلاع خلط في المفاهيم والرؤى والإدراكات المختلفة في فلسفة الفن والجمال.

3 – العمل على نشر ثقافة الفلسفة الفكرية لمفهومي فلسفة الفن والجمال والرغبة في الخوض في موضوعاتها المتعددة.

■ **قائمة الهوامش والمراجع:**

1_مصطفى عبدة، مدخل إلى فلسفة الجمال، _محاور نقدية، تحليلية، تأصيلية _، مكتبة المذبولي للنشر، القاهرة، 1999.

2_داني هويسمان، علم الجمال، ترجمة، ظافر الحسن، عويدات للنشر، ط، 4، لبنان، (ب. ت).

3_رياض عوض، مقدمات في فلسفة الفن، جروس برس للنشر، لبنان، ب.ت، ص7.

4 _ محمد عبدالحفيظ، دراسات في علم الجمال، دار الوفاء، القاهرة، 2004، ص 43.

5_ جان لاكوست، فلسفة الفن، ترجمة ريم الأمين، عويدات للنشر، لبنان، 2001، ص 10.

6_ 7_ رياض عوض، مصدر سابق، ص 8، ص11.

8_ جان لاكوست، المصدر السابق، ص 10.

9_ رمضان الصباغ، الفن والقيم الجمالية بين المثالية والمادية دار الوفاء، القاهرة، 2001، ص27.

10_ سيريل الدريد، الفن المصري القديم، ترجمة أحمد زهير، وزارة الثقافة، القاهرة، 1990، ص11.

11_ نور بشار رجب، الفن في فلسفة هربرت ريد، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا، 2018، ص 10.

12_ رمضان الصباغ، مصدر سابق، ص30.

13_ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المجلد الثاني، دار الكتاب، لبنان، 1979، ص 195، 199.

14_ سناء خضر، مبادئ فلسفة الفن، دار الوفاء، القاهرة، 2004، ص37.

15_ أميرة مطر، فلسفة الجمال، دار المعارف، مصر، ب.ت، ص 29.

16_ خالد محمد السعود، مناهج التربية الفنية بين النظرية واليدوغوجيا، وائل للنشر، الأردن، 2010، ص139، 142.

17_ إبراهيم أنس، المعجم الوسيط، دار الفكر، القاهرة، 1972، ص 703.

18_ جون ديوي، الفن خبرة، ترجمة زكريا إبراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص117.

19_ إنصاف الربيضي، علم الجمال بين الفلسفة والإبداع، دار الفكر، الأردن، 1995، ص117.

20_ محسن محمد عطية، الفنان والجمهور، دار الفكر العربي، مصر، 2001، ص35.

21_ وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهرانية التفكيكية، ترجمة يوسف عزيز، دار المأمون، الأردن، 1987، ص 45.

22_ مجاهد عبد المنعم مجاهد، أبعاد الاغتراب فلسفة الفن الجميل، دار الثقافة، مصر، 1997، ص 47.

23_ رمضان الصباغ، الفن والقيم الجمالية بين المثالية والمادية دار الوفاء، القاهرة،2001، ص35.

24_ محمد سعيد حسان وآخرون، مقدمة في علم الجمال، مكتبة المجمع العربي للنشر، عمان، 2005، ص22.

25_سناء خضر، مصدر سابق، ص37.

26_ رياض عوض، مصدر سابق، ص65.

27_ أحمد حمدي، ما وراء الفن، مطابع النهضة العربية للكتاب، مصر، 1993، ص157.

28_ رياض عوض، مصدر سابق، ص 92.

29_ كولنجود، مبادي الفن، ترجمة أحمد محمود، الهيئة العربية للكتاب، مصر، 1966، ص166.

30_ أحمد حمدي، مصدر سابق، ص 7.

31_ زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للنشر، مصر، 2000، ص 149.

32_ زكريا إبراهيم، مصدر سابق، ص 18.

33_ أميرة مطر، فلسفة الجمال، مصدر سابق، ص29.

34_ رمضان الصباغ مصدر سابق، ص32، 36، 180.

35_ محمد سعد حسان وآخرون، مصدر سابق، ص22.

36_ أميرة مطر، فلسفة الجمال مصدر سابق، ص5.

37_ محمد صادق عبد الله، جماليات اللغة وغنى دلالاتها، دار الأحياء القاهرة، 1993، ص 372.

38_ عقيل مهدي يوسف، المعنى الجمالي، دار مجدلاوي، الأردن، 2008، ص 79.

39_ أميرة مطر، فلسفة الجمال، مصدر سابق، ص 33.

40_ مصطفى عبدة، مدخل إلى فلسفة الجمال، _محاور نقدية، تحليلية، تأصيلية _، مكتبة المدبولي للنشر، القاهرة، 1999، ص53.

41_ جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ترجمة محمد بدوي، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة، 2011، ص15.

42_ محمد عزيز نظمي، نظريات الابداع الفني، الجزء الخامس، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1996.

43_ مصطفى عبدة، مصدر سابق، ص 53.

44 - Jones, Peter. Hume›s Aesthetics Reassessed The Philosophical Quarter, Vol.26 - No.102.University of ST. Andrews, 1975, p. 49.

45_ شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 2001، ص112.

46_ شوقي ضيف، البحث الأدبي، دار المعارف، القاهرة، (ب. ت)، ص 118.

47_ تشير نيشفيسكي، علاقات الفن الجمالية بالواقع، ترجمة يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1983، ص 12، 19.

48_ ليو تولستوي، ما هو الفن، ترجمة محمد النجار، دار الحصاد، سوريا، 1991، ص 23، 30.

49_ ليو تولستوي، مصدر سابق، ص 51، 62.

50_ عبد الرحمن بدوي، فلسفة الجمال والفن عند هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، 1996، ص 20.

51_ أحمد محمد جواد، أوجه التشابه بين الرياضيات والشعر، مجلة المنهل، العدد 570، المجلد 61، طرابلس، 1984، ص 66.

52_ روجيه جارودي، فكر هيجل، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة، لبنان، 1983، ص 221.

53_ محمد سعد حسان وآخرون، مصدر سابق، ص 31، 33، 35.

54_ راوية عباس، الحس الجمالي وتاريخ الفن، دار النهضة العربية، لبنان، 1998، ص 53.

55_ محمد سعد حسان وآخرون، مصدر سابق، ص 36، 37.

56_ عزالدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الشؤون الثقافية، العراق، 1986، ص40.

57_58_ محمد سعد حسان، مصدر سابق، ص56، 55، 53، 40.

59_محمد سعد حسان، المصدر نفسه، ص 59.

60_ فريدريك شيلر، في التربية الجمالية للإنسان، ترجمة وفاء إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1991، ص 227.

61_ جون ديوي، مصدر سابق، ص 547.

62_ أفسيانيكوف.م.ف، سميرنوفا، المراحل الأساسية في تاريخ النظريات الجمالية، ترجمة باسم السقاء، دار الفرابي، لبنان، 1978، ص 152.

63_64_ محمد سعد حسان وآخرون، ص61، 60.

65_ محمد عبدالحفيظ، مصدر سابق، ص93.

66_ محمد عزيز نظمي، مصدر سابق.

67_ أفسيانيكوف.م.ف، سميرنوفا، مصدر سابق، ص 152.

68_ شاكر عبد الحميد، مصدر سابق، ص 112.

69_ محمد سعد حسان وآخرون، مصدر سابق، ص 65.

70_ جيرار براء، هيغل والفن، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، 1993، ص 21.

71 - Hegel, G.W.F, On Art, In (On Art, Religion, philosophy) - Edited By (J, Glenn Gray) Translated By, Bernard Bosanquet, Harper Torch book - N.Y.1970.p.22.

72_ بندتو كروتشيه، المجمل في فلسفة الفن، ترجمة سامي الدروبي، دار الفكر العربي، مصر، 1947، ص 6.

73_Immanuel Kant, critica de la Ramon pura, prologo, traduccion, notas e indicen: Pedro ritas, Madrid, Talleres GraFicos de Anmes, 1977.

74_ سناء خضر، مصدر سابق، ص 35.

75_ روجيه جارودي، مصدر سابق، ص 33.

76_ على عبد المعطي محمد، فلسفة الفن رؤية جديدة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985، ص50.